

الحياة الفكرية في الأندلس

من خلال النشاط الفكري في بطن الحكم المستنصر بالله

د. أحمد بدر

جامعة دمشق

مكتبة ضخمة قدر عدد ما حوته من الكتب بأربعمئة ألف مجلد ، وتمويل وتوجيه للبحث والتأليف تجلى بوضع مئات - إن لم نقل آلاف - من الكتب في شتى صنوف المعرفة ، وشكل من أشكال توفير التعليم الأولي المجاني لابناء الفقراء تجسد بإنشاء سبعة وعشرين مكتبا للتعليم في قرطبة .

معالم بارزة على دروب تطور الحياة الفكرية في الحضارة العربية الاسلامية ، تعكس النشاط الكبير لهذا المظهر من مظاهرها في الأندلس وازدهاره العظيم ، لاسيما في عصر الخلافة الاموية فيها .

ارتبط جل هذا النشاط والازدهار باسم الحكم المستنصر بالله ، تاسع الحكام الامويين في الأندلس وثاني خلفائهم فيها ، بين ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ (٩٦١ - ٩٧٦) ، وإن يكن توجيه الحكم لهذا النشاط وتشجيعه له قد بدأ قبل هذا التاريخ بعقدين من السنين على الأقل ، كان خلالهما وليا للعهد .

انعكست آثار هذا النشاط في كتب التاريخ وتراجم الاعلام ، على شكل وقائع صغيرة مبثوثة ومبعثرة في هذا المصدر او ذاك ، لكنها مع ذلك تستلفت نظر القارئ .

وقد اغرت وفرتها الباحث الاسباني ملشور انطونيا في اوائل القرن الحالي بجمعها والخروج منها بصورة للنشاط الفكري في بلاط الحكم^(١) ، كانت من الدقة والكمال بالدرجة التي يسمح بها المعروف والمكتشف حتى زمنه من مصادر التاريخ الاندلسي . لكن تتابع الاكتشافات وتكاثر البحوث عن الحياة الفكرية في الاندلس ، والتي تلامس حيناً هذه النقطة أو تلك ، أو تنير بعض جوانبها أحياناً أخرى ، تستدعي البحث من جديد لرسم صورة أدق وأكمل . وسعياً للوصول الى اجابات على تساؤلات عدة تدور كلها حول اسهام الحكم في الحياة الفكرية ، مثل : دوافعه ، وهل كانت ذاتية أم موضوعية ، أم كليهما معا . . ما هو شكل اسهامه ، هل كان قاصراً على الانفاق والتمويل أم تعدى ذلك الى المشاركة والتوجيه . . ما رؤيته في هذا المجال ، هل كان مقلداً يسير على سنن سابقه ودروب اسلافه ، أم كان مجدداً يستشف حاجات دولته ومتطلبات بلده الناجمة عن مجموعة الظروف المحيطة به ، ويحاول ان ينجز ما فيه تحقيق المتطلبات وتلبية الحاجات في تلك الظروف . .

العوامل المؤثرة في تكوين الحكم الفكري :

يتضح لنا بجلاء من دراسة سيرة الحكم المستنصر ان عظمته وليدة نتاج وتفاعل بين جهد ذاتي ومناخ وبيئة محيطة ، شأنه في ذلك شأن كل البارزين والعظماء في التاريخ الانساني . ويمكن تحديد اطار هذه البيئة في المجال السياسي ، بان الاندلس في زمن ابيه قد توحدت بعد تجزؤ والتام شملها بعد شتات وتمزق . كما أصبح سلطان خلفائها معترفاً به من قبل ملوك وامراء الدويلات الاسبانية في الشمال ، وتحارب تحت لوائه ، في الجنوب ، قبائل زناته المفرية منافسيها من قبائل صنهاجة واسيادهم الائمة الفاطميين ، الذين أضفوا على اشخاصهم صفات قدسية تجعلهم يتبوؤن - حسب زعمهم - مرتبة سامية بين المراتب الكائنة بين البشر وخالقهم . وقد اتخذوا قاعدة لسلطانهم في المغرب الأدنى ، قبل انتقالهم للقاهرة التي انشئت لهم في مصر . أما في داخل الاندلس ، حيث خيم سلام نسبي ، فقد نشطت الفعاليات الاقتصادية بشتى اشكالها ، مما ساعد على تنشيط المبادلات التجارية مع الخارج الذي توسعت اطرافه وتعددت جوانبه ، فدخلت ضمن دائرة التبادل مع الاندلس دولة امالي الايطالية^(٢) . اضافة للمغرب والمشرق الاسلامي . وتمخض نشاط هذه الفعاليات عن ظهور طبقة غنية في الاندلس نجد مؤشراً على درجة غناها في الهدايا الثمينة التي قدمها افراد منها للخلفاء بلغت قيمتها مئات الالوف من الدينار الذهبية . وقد تجاوز هؤلاء الخلفاء الفوائد غير المباشرة ، التي جنوها من نشاط الفعاليات الاقتصادية ، الى الافادة المباشرة

عن طريق المشاركة فيها بواسطة ضياعهم المغلة الكثيرة ، وممارسة التجارة ، التي مكنهم مركزهم من احتكارها وجني ارباح طائلة منها .

كان لهذه الاوضاع الاقتصادية - الاجتماعية داخل الاندلس اثر ايجابي على الحياة الفكرية فيها ، اذ انفق هؤلاء الاغنياء بسخاء على تطوير الفكر ، من خلال رعاية رجال الفكر وتشجيعهم ، واقتناء الكتب وانشاء المكتبات . واذا تصدرت العائلة الاموية المالكة في الاندلس هذه الطبقة الفنية ، فانها كانت ايضا في مقدمة المشاركين في النشاط الفكري ومشجعيه . ونلاحظ تقدما مطردا لامرائها وخلفائها في هذا المضمار ، حتى اقترب من الذروة بشخصية عبد الرحمن الناصر والد الحكم (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) الذي اظهر اهتماما غير عادي بالعلم والثقافة ، فلم تمنعه المشاكل السياسية المعقدة التي واجهها ومشاغله في الحروب الكبيرة ، من تخصيص وقت يكرسه للفكر ، فنراه يجمع عددا من المثقفين لبحث ترتيب قصائد الشاعر المشرقي المشهور ابي تمام عندما جمعت له في ديوان . ويحسّ أحد الاطباء باهتماماته في هذا الميدان فيؤلف له كتابا عن « الانيسون وفوائده في المعالجة » (٢) .

بهذا كان عبد الرحمن جزءا اساسيا من البيئة المحيطة بالحكم ، والتي اسهمت في خلق توجهاته الفكرية ، لما يمثله الاب من قدوة للابناء . وزاد على ذلك اتخاذ الاجراءات المساعدة على تكوينه التكوين الفكري الراقي ، فاستمر اول الامر على اتباع التقليد الذي ساد في البلاط الاموي منذ ايام الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) ، والهادف الى تخصيص موارد اقتصادية مستقلة لكل من ابناء الامراء على حدة ، وتعيين شخص للاشراف على استثمارها من جهة ، وللاعتناء بتثقيف وتربية هذا الولد من جهة ثانية ، مما يعوض عن عناية الاب ، الذي قد لا تدع له مهامه السياسية وقتا كافيا للاشراف على تربية ابنائه الكثيري العدد في الغالب . وقد نقل المؤرخ الاندلسي ابن حيان عن الكاتب القبشي هذا التقليد بقوله : « كان يعجل - أي الامير محمد - لكل واحد من الابناء ، اول ترعرعه بقصر يسكنه وضياع تغل له وعقار بداخل البلد يجري عليه خرجه ، الى رزق هلالي ومعروف سنوي (أي مرتب شهري وآخر سنوي) يجريهما عليه تتأكد بهما ملوكيته وتئاتل نعمته ، ويختار لكل ولد منهم في وجوه الناس واولي مرواتهم وكيلا يسند بشأنه اليه ويقلده النظر في دخله وخرجه وأمر قصره وضياعه يرزقه على ذلك ما يقوم به . فلا تزال نعمة الولد تنمي بنمو سنه » . ويتابع المؤرخ ذاته اقتباسه مما يذكره الكاتب نفسه عما ادخله عبد الرحمن الناصر من تجديد في هذا المضمار ، يتعلق بزيادة المخصصات وتوسيع دائرة اشراف الوكلاء على ابنائه الاحد عشر من المذكور بقوله : « قرن الناصر لكل واحد منهم القصر بمنية (بستان) بخارج البلد في امكنة منتزهاته الحسنة واضعف لهم على ذلك

الارزاق الهلالية والمعارف السنوية واوسع لهم من الضياع المغلة والعقار الخراجية» (٤) ورغم اننا لا نعرف على وجه الدقة مقدار واردات هذه المصادر كلها بالنسبة لكل ابن ، لكن يمكن القول انها كانت ضخمة لان الاشراف عليها لم يعد مقتصرًا على الوكيل بل عين فوقه كاتب يدقق في حساباته ويشاركه في الاشراف على ترتيب امر الولد لدى حذاق المعلمين .

وفرت هذه البيئة الاندلسية والعائلية سبل النضج الثقافي والراقي الفكري لابناء عبد الرحمن الناصر الاحد عشر . وهنا يبرز اثر الجهد الذاتي اذ لم يبرز منهم سوى اثنان اولهما عبد الله الذي اتسعت دائرة ثقافته لتشمل المعرفة باللغة والخبر وقرض الشعر والادب ، حيث وضع كتابا في اخباره بعنوان « العليل والقتيل في اخبار بني العباس » . و اضاف الى اتساع دائرة الثقافة عمقا وتجديدا في بعض نواحيها ، فتراها عالما في مجال الفقه مستقل الرأي فيه ، اذ كان شافعيًا في بلد سادته المالكية كمذهب اوحده ، واعتبرت الاسرة الحاكمة فيه نفسها حامية له خارج حدود الاندلس (٥) . من ناحية اخرى عقد هذا الامير العالم صلات وثيقة مع العلماء الآخرين ، لعل من اشهرهم احمد بن عبد البر بن يحيى الذي الف له كتاب « تاريخ الفقهاء والقضاة » ، الذي اعتبره الكتاب المعاصرون ومن تلاهم مصدرا هاما ، رغم ماخذ بعضهم عليه مردها تتبعه لمثالب الأئمة . وقد اتهم الامير وصديقه بالتامر على الخليفة ، فقبض عليهما معا ولقيا مصيرا واحدا وهو القتل (٦) .

اما ثاني البارزين من الابناء فكان الحكم ، الذي سيصبح ولي عهد ابيه وتاليه على عرش الخلافة . وقد اتيح له ، كأخيه ، اخذ العلم منذ نعومة اظفاره على حذاق المعلمين ، ووفر له بقاءه على قيد الحياة ومكانته ان يتابع الاخذ عن العلماء حتى تجاوز اخاه في اتساع دائرة معارفه وتعمقه فيها . ويمكننا التعرف على الخطوط الاساسية لاتجاه ثقافته من تتبع كبار من اخذ العلم عنهم بعد تحصيله الاولي والاساسي . كان في مقدمة هؤلاء علماء بالعربية والحديث والفقه والادب ، وكلها فروع من المعارف مجمع على ضرورتها في الاندلس . لكنه لم يقتصر عليها بل اخذ عن علماء في علوم مكروهة لدى الاندلسيين ، كالفلسفة ، بما حوته انذاك من علوم كالمنطق والرياضيات وغيرها (٧) . ولم يتم تكوين الحكم في فترة طفولته وفتوته وشبابه الاول فقط ، بل استمر طيلة حياته تقريبا ، فنراه وهو في الثامنة والعشرين من عمره (اي سنة ٣٣٠ هـ) يستقدم علماء من المشرق ، كأبي علي القالي ، يأخذ عنهم ، هذا اضافة لمن يستقدمه من علماء المناطق الاخرى بالاندلس وعلماء قرطبة ، الذين يسمع منهم ويتدارس معهم قضايا علمية متنوعة .

جهود الحكم في النشاط الفكري :

واكبت عملية استزادة الحكم من العلم عملية تسهيل نشره وارتقائه ، عن طريق جمع كتبه وتشجيع وتمويل البحث والتأليف في شتى مناحيه ، وتوجيهه .

كانت عملية نشر العلم بين الناس سهلة نسبيا في الاندلس ، لما شاع فيها من اقبال عليه ، وخاصة لدى الطبقة الفنية التي انفتحت بسخاء على اقتناء الكتب ، وعلى مؤدبي ابنائها . لكن الطبقة الفقيرة بقيت محرومة حتى من الاساسي منه ، والذي يدور حول تعلم قراءة القرآن الكريم . فحاول الحكم سد النقص حسب ما يورده ابن عذاري بقوله « ومن مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذ المؤدين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حول المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة ، واجرى عليهم المرتبات .. » . وقد بلغ عدد المكاتب التي انشأها لهذه الغاية سبعة وعشرين مكتبا ، منها ثلاثة حول المسجد الجامع وباقيها موزع على ارباض المدينة . وقد ذكر هذا العمل الخير احد الشعراء من خلال مدحه للحكم بقوله :

وساحة المسجد الاعلى مكللة مكاتبها لليتامى في نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم نادتك يا خير تاليها وواعيها(٨)

لكن المهم والجوهري في دور الحكم الفكري كان الاسهام في تطوير وترقية الفكر عن طريق جمع كنوزه المكنونة في الكتب ، والعمل في الوقت نفسه على وضع البحوث والمؤلفات الجديدة . وتكون من مئات العاملين لدى الحكم وتوجيهه شكل من أشكال « الاكاديمية » أو المجمع العلمي المعروف في عصرنا الحديث . كان لهذه « الاكاديمية » مقر للعمل هو قصر ملكي مطل على نهر قرطبة يدعى بدار الملك ، سمي بذلك لكونه منزلا لعدة امراء اندلسيين انتقلوا منه مباشرة لقصر الخلافة ، كان المنذر بن محمد آخرهم ، وانتقلت الدار من ورثته بالبيع لعبد الرحمن الناصر الذي حبا بها بكره الحكم ، رغم اجباره له من دون سائر اخوته على الاقامة معه في قصر الخلافة ، ثم في الزهراء مدينة الملكية . اما دار الملك هذه فقد جعلها حسب قول المؤرخ الرازي « لخاصة نشبه (النشب المال الاصيل من الناطق والصامت) ومخازن امتعته ومساوون دفاتره ، ومجالس نساخه ومقابلتي دواوينه ، وأحلها ثقات خدمة وأقدام كتابه .. ينتابهم فيها بالاوقات لما يتخذ له فيها ويخترن في مخازنها » . يفهم مما مر وما يرد في ثنايا الحديث عن تراجم العاملين ، ان دار الملك كانت مقر اقامة عمل دائمة لجهاز المكتبة ، ومقرا مؤقتا للمؤلفين والباحثين ، اذ ارادوا الرجوع لمصادر المكتبة أو التمسوا اعتزال المشاغل والناس للتفرغ للتأليف .

المكتبة والجهاز العامل فيها :

اقتنى الامراء والخلفاء الامويون ، شأنهم في ذلك شأن كثير من الاندلسيين ، مكتبة كانوا يدعونها خزانة الكتب . لكنها لم تتميز عن غيرها كثيرا ، على ما يبدو ، ولم تستلفت بالتالي اهتمام الكتاب ، الذين اعتنوا بذكر كل صغيرة وكبيرة عن حياتهم . واختلف الامر زمن الحكم فتواترت الأنباء عن مكتبته وكثرت الاشارات غير المباشرة اليها كذلك ، مما يمكننا من رسم صورة غنية بالتفاصيل لها . ينقل ان حزم عن قيمها الفتى تليد : ان عدد الفهارس المحتوية لتسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط ، وان عدد كتبها بلغ اربعمائة الف مجلد (٩) .

يمكن تصديق الخبر عن ضخامة عدد المجلدات ، وتفسير هذه الضخامة من ملاحظة امور عدة ، كالعمل الدائب والسعي المستمر في عملية جمع الكتب واغناء المكتبة ، وطول المدة التي استغرقها جمعها ، وكذلك تعدد مواردها وتنوع اعمال العاملين بها . فقد ظل الحكم دأبا على جمع الكتب خلال فترة ولايته للعهد التي استمرت عدة عقود من السنين ، واثناء مدة خلافته التي بلغت نحو ستة عشر عاما . وكانت موارد الكتب متعددة ، فمنها ما ورثه عن سلفه ، كما هو الحال في نسخة الموطأ لمالك بن انس ، التي وصفت بانها بالغة الجودة وقد ورثها عن ابيه الناصر وقرأ بها ابنه هشام (١٠) ، ومنها ما كان من مكتبة اخيه بعد مقتله . اما المورد الاهم فكان الشراء من منبع ثقافة الاندلسيين ، وهو المشرق العربي الاسلامي ، حيث كان له وكلاء ينتخبون له غرائب التوايف من اشهرهم محمد بن طرخان وراق الحكم في بغداد ، وعمر بن محمد المعروف بابن الوفي ، الذي اقام بالبصرة حوالي عشرين سنة تولى خلالها ابتياع الكتب والذخائر له ، وبلغت النفقات التي جرت على يديه لهذا الغرض مائة وعشرين الف دينار (١١) . نستنتج من المثلين السابقين ان وكلاء الحكم كانوا مؤهلين لاختيار الجيد المناسب من الكتب شكلا وموضوعا ، فالكتب كانت صناعة الاول ، الذي ينعت بالوراق ، كما كان الثاني فقيها عينه الحكم إثر عودته قاضيا في مدينتين كبيرتين . ويبدو ان الوكلاء لم يكتفوا بشراء المعروض من الاسواق ، بل عملوا ايضا كهزمة وصل بين الحكم ومشاهير المؤلفين في المشرق ، من ذلك الاتصال بين الحكم وابي الفرج الاصبهاني الذي تلقى من الخليفة الاندلسي الف دينار ذهبي مع التماس لنسخة من كتابه « الاغاني » ، فارسل اليه منه نسخة حسنة منقحة قبل ظهور الكتاب لاهل العراق او نسخه من قبل احد منهم ، والف له ايضا « انساب قومه بني امية موشحة بمناقبهم واسماء رجالهم » ، فاحسن فيه جدا ، وخلص لهم مجدا وارسل به الى قرطبة ،

وانفذ معه قصيدة حسنة من شعره يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية وفخرهم على سائر قريش فجدد عليه الصلة الجزيلة» (١٢) . اضافة لما كان يرسله الوكلاء للحكم ، كانت اعداد غفيرة من الاندلسيين تتراد بلدان المشرق حتى وصل بعضهم الى الهند ، طلبا للعلم وسعيا للاخذ عن مشاهير الشيوخ ، وربما اشترى بعضهم الكتب فوصلت للحكم ، الذي كان اكثر رغبة باقتناء كتب الاسمعة للعلماء ، من الاندلسيين المتجولين في المشرق ، نظرا لسعة ادراكهم وتحريهم عندما يسجلون ما يسمعون ، ممن ينقله بسند مباشر عن المؤلف نفسه ، كما هو حال كتاب « الكامل » للمبرد (١٣) ، الذي سمعه وسجله محمد بن ابي علاقة القرطبي من الاخفش الذي سمعه بدوره من المبرد نفسه ، وصار الكتاب للحكم الذي قال : كتاب الكامل لم يصح عنده برواية الا من قبل ابن علاقة . واقتنى الحكم من الفقيه يوسف بن محمد الهمداني (ت ٣٨٣ هـ) ، كتاب « الام » للشافعي في مائة وعشرين جزءا ، الذي سجله الفقيه بخطه ، وكان من جملة ما سمعه في المشرق خلال اقامته مدة عشر سنوات فيه اعتنى فيها اضافة لذلك بكتب الطبري المشهور من تاريخ وتفسير واختلاف الفقهاء (١٤) . واذا كان الحكم قد اهتم باقتناء الكتب من اماكن بعيدة في المشرق ، يبدو من الطبيعي ان يجمع نتاج بلده منها ، في وقت بلغ النشاط الفكري فيه ذروة لم يبلغها من قبل ، وان يضيف فيه الى الشراء نسخ ما لا يتوافر منه نسخ مطروحة للبيع . واخيرا ، لم يكن من المتيسر دائما بالنسبة لتلك العصور توافر المؤلفات ، وخاصة الكبيرة منها ، في نسخ كاملة ، بل كان الشائع بالنسبة للكثير منها ان يكون اشتاتا مبشرة بين ايدي التلاميذ الذين يسمعونها جزئيا او كليا عن شيوخهم وقد يسجلون كل ما يسمعون او بعضه . وكان هذا المورد الاخير موضوع ومجال عمل اكثرية افراد الجهاز العامل في المكتبة .

تمايز افراد الجهاز العامل بمكتبة الحكم في فئتين : الوراقون والمقابلون . كانت عملية الفئة الاولى بسيطة لا تتعدى النسخ ، لكن الحكم الساعي وراء جودة الكتابة ودقة المکتوب استخدم ذوي مؤهلات عالية تتعلق بالمهمة ، فلم تقتصر على حسن الخط وجماله بل تعدته الى المعرفة حتى يستطيع ضبطه ، لذلك نرى كل نساخه من ذوي المعارف العلمية المختلفة ، فقد كان يوسف البلوطي حسن الخط والضبط ذا معرفة بالادب ، ومثله اسحاق بن محمد الذي وصف بأنه من أهل الادب والفهم . ووجد المبرزون في هذا الميدان من بلاد اخرى سوقا رائجة لهم في بلاط الحكم فقصدوه ، وصل ظفر البغدادي من بغداد وعينه الحكم رئيسا للوارقين ، ومن صقلية ورد عليه ايضا عباس بن هارون الكناني بعد اقامته في القيروان لمدة واحد وعشرين عاما ، وكان عالما بالكلام والرد على اصحاب المذاهب (١٥) .

عملت الفئة الثانية فيما سمي بخطة المقابلة ، ومهمة المشتغلين بها مقابلة النسخ المتعددة للمؤلف الواحد ، أو قطع منها لنساخين متعددين ، بغية اخراج اكمل وأصح نسخة للمؤلف ، وبهذا تكون مماثلة لعملية التحقيق في العصر الحاضر ، وقد تكون اكثر منها صعوبة في بعض الحالات . ولعل في بعض انجازات هذه الفئة ما يقدم صورة واضحة لنوعية العمل وصعوباته . فقد كان من جملتها اخراج نسخة كاملة للبارع المعجم اللغوي الكبير الذي وضعه أبو علي القالي في بلاط الحكم وأملاه على النساخين على مدى ستة عشر عاما تخللتها فترات انقطاع . ثم حاول جمع ما كتبوا وتنقيحه ، الا أن الاجل وافاه ولم يتم له تنقيح سوى أجزاء الهمة والعين والهاء ، في حين بقيت الاجزاء الاخرى غير منقحة وبخطوط متعددة ، منها ما كان لمحمد الفهري وعمر الجباني فكلف الاثنان باتمام العمل واخراج نسخة كاملة قدمت للحكم المستنصر . وكان القالي نفسه قد ترأس قبل ذلك فئة من المقابليين للقيام بمهمة مماثلة ولكنها اكثر صعوبة، وهي اخراج نسخة كاملة وصحيحة من معجم « العين » المنسوب للخليل بن احمد الفراهيدي . ومن المعروف أن انتشار الكتاب كان بطيئاً حتى في المشرق . فقد توفي المؤلف سنة ١٧٠ هـ . لكن الكتاب وصل الى البصرة سنة ٢٤٨ هـ عندما حمله اليها من خراسان أحد الوراقين بثمانية واربعين جزءاً . ويسجل أول دخول له الى الاندلس في نهاية القرن ذاته ، أي القرن الثالث الهجري ، على يد قاسم بن ثابت بن حزم وابيه . ومنذ ذلك الوقت كان حاملو العلم من المشرق يدخلون الاندلس منه نسخاً او قطعاً متفاوتة في الصحة والضبط ، مما جعل الحكم يكلف ابا علي القالي مع محمد بن الحسين وابنا سعيد بمقابلة جميع النسخ واخراج نسخة جديدة كاملة وصحيحة . ومثل هذا العمل جرى في وضع الدواوين الشعرية لشاعر مشهور ، بعد جمع قصائده المبعثرة او المحفوظة لدى اناس متعددين ، كما حصل في شعر الكاتب الاندلسي المشهور ابن عبد ربه الذي جمع بامر من الحكم في ديوان واحد مؤلف من نيف وعشرين جزءاً (١٦) . لهذا كانت المؤهلات التي يتطلبها الحكم في المقابليين اعلى من تلك المطلوبة في النساخ ، إذ يتطلب عملهم معرفة واسعة وعميقة وخاصة باللغة ، وهو أمر يتجلى بوضوح لدى تصفح اخبار من استخدمهم في هذه الخطة . فقد رأينا مثلاً عليهم في ابي علي القالي ، كما نعثر على امثلة اخرى غزيرة : كاحمد المعافري الذي استكمل ثقافته في المشرق بعد الاندلس وادخل منه لبلده علماً جماً ، ومنهم ايضاً احمد بن عبد الوهاب المعروف بابن صلى الله ، وكان فقيها شافعيًا ذكياً بصيراً بالحجاج وذا حظ وافر من العربية ، وكذلك محمد بن يحيى الرياحي الذي يصفه الزبيدي بالقول « كان حاذقاً بعلم العربية دقيق النظر فيها غاية في الابداع والاستنباط وكان قد طالع كتب اهل الكلام وتفنن فيها ونظر في المنطقيات فاحكمها » . ويضيف الى ذلك انه احدث تغييراً كبيراً في تعليم النحو على نطاق الاندلس كلها .

جمع العلماء

كانت قرطبة مركزا فكريا مزدهرا زاخرا بالعلماء . لكن الحكم لم يكتف بهم بل كان يستقدم العلماء الذين يبرزون في حواضر الاندلس الاخرى بعد استكمال تحصيلهم العلمي في المشرق بعد بلادهم . ثم تجاوز ذلك الى البلاد الاخرى ، المجاورة منها في المغرب أو البعيدة ، مثل بلدان المشرق . استقدم من سبته محمدا بن حارث الخشني ، الذي اعتبره اهلها حجة في العلم فأطاعوا قوله وشرقوا قبله مسجدهم الجامع لانه وجد فيها تفريبا ، رغم تعدد الاجيال التي أدت صلواتها فيه وهو على هذا الوضع . كما تمسكوا به الى الحد الذي يقترب من الحبس . ومن اشهر مراكز المغرب الفكرية ، وهو مركز القيروان ، استقدم محمدا بن يوسف الوراق العالم الخبير بأرض المغرب وبلدانه وسكانه . كما قدم عليه محمد بن الازرق من مصر وهو صاحب معرفة بالادب والعلوم الحكيمة او الفلسفية ، ومن حلب في الشام محمد بن العباس حافظ وحامل اسناد الشام . ومن العراق اكبر المراكز الفكرية في المشرق حل في حاشية الحكم محمد بن ابي بردة البغدادي الشافعي الذي لم يصل للاندلس افهم منه بالمذهب ، على حد قول ابن الفرضي (١٨) . لكن عالما آخر طغى عليه ، وربما على سائر القادمين الآخرين ، وهو اسماعيل بن القاسم ابو علي القالي ، الذي استغرقت رحلته من العراق الى الاندلس قرابة ثلاث سنوات ، نزل بعدها على شواطئ الاندلس سنة ٣٣٠ هـ ليجد في استقباله وفدا من وجوه رجال الكورة التي نزل بشاطئها برفقة واليها ، ورافقوه بعد ذلك الى قرطبة تنفيذا للامر الصادر لهم من ولي العهد الحكم بن الناصر . الف القالي بتشجيع من الحكم وتوجيهه عددا كبيرا من المؤلفات ، لكن اهميته لا ترجع الى هذا الامر بقدر ما ترجع الى مقدار ما حملته من نتاج الثقافة العربية والذي يشتمل في جملة مواضيع اخرى على مؤلفات رجال الادب واللغة الكبار ، كسيبويه وابن قتيبة ويعقوب السكيت واحمد بن يحيى الشيباني الملقب بثعلب وابي عبيد . ومن ناحية اخرى اسهم اسهاما كبيرا في الحركة الفكرية بواسطة من اخذوا عنه من التلاميذ او اولئك الذين ناقشوه من العلماء الاندلسيين في قضايا اثيرت حول ما درسه او افه .

قد تختلف الاراء حول سبب قدوم هؤلاء العلماء للاندلس ، وهل قدموا بدعوة من الحكم أم سعيا وراء رزق في سوق عرفوا رواج بضاعتهم فيه . . لكن الاتفاق قائم على ان شهرتهم في الاندلس وغزارة انتاجهم فيها مرده لتقريب الحكم المستنصر ورعايته لهم . ويبدو ان تنوع اصول ومواطن هؤلاء المقربين لم يكن وليد اعتبار او محض صدفة ، وانما كان مقصودا على الأرجح لتحقيق غايات معينة ، منها ان عددا من العلوم العربية وخاصة الدينية منها ، كانت علوم حفظ ورواية عن السلف تعود بذورها

الاولى واصولها الاساسية الى الصحابة الذين حلوا في كل قطر ، لذلك فان عالم قطر من الاقطار تعلقوا اسناده لتصل الى الصحابة الاول الذين نزلوا في هذا القطر . اصف الى ذلك ان العلوم كلها قد اتخذت اتجاهات متميزة في تطورها وراقيها ، ومن شأن تعدد اقطار العلماء الوافدين ايصال هذا التنوع للاندرلس . واخيرا فان بعض العلماء كانوا ذوي خبرة بأوضاع بلادهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية ، ومن السهل عليهم نقلها الى رجال الاندلس وحكامها .

كانت مؤهلات المحيطين بالحكم العلمية وسيلة ايضا لنيل الوظائف في ادارة دولته ، كالقضاء والشورى والكتابة . ويظهر ان الخدم المحيطين به ادركوا اهمية التحلي بحلية العلم لنيل حظوة اكبر لديه فانكب بعضهم على تحصيله حتى برزوا فيه ، على الرغم من ان هؤلاء كانوا من الصقالبة الذين اشتهروا بجهلهم . وقد عبر عن هذا المعنى ابن حيان في وصفه لخادمي الحكم فاتن وجؤذر « اجمع اهل الدولة انه لم يرقم على راس امير بالاندلس من هذا الجيل الغليظ الطباع من الصقلب كهذين الخادمين فاتن وجؤذر سعة معرفة . . خلاف ما عليه العصابة » (١٩) . لكن شهرة هؤلاء العلماء لم تكن نتاج المراكز الادارية التي شغلوها ، وانما بالمؤلفات التي درسوها او وضعوها ، وكانوا في هذا الميدان يمثلون شتى نواحي العلم والمعرفة مما يمكننا من تصنيف نشاط التأليف في بلاط المستنصر حسب التقسيم المألوف للعلوم .

علوم اللغة والادب

ابدى الحكم اهتماما بالغا باللغة تجلّى في سعيه الدائب لجمع نسخة كاملة صحيحة من معجم العين كما رأينا ، كما انعكس هذا الاهتمام في الحفاوة التي اظهرها باللفوى المشرقي ابي علي القالي ، لا عند استقباله فقط وانما خلال اقامته بجواره ، اذ ينقل الحميدي عن ابن حزم قوله « وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامور وبعد ان صارت اليه ، يبعثه على التأليف وينشطه بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام » وقد ألف القالي استجابة لذلك عددا من المؤلفات المتفاوتة فيما بينها من حيث الجودة والاهمية والضخامة ، لكن ما يجمعها كونها باجمعتها في اللغة والنحو .

ولعل اهم هذه المؤلفات معجم البار ، الذي استغرق العمل فيه ستة عشر عاما تخطلتها فترة انقطاع . وما انجز في هذه المدة كلها منه كان املاؤه ثم تهذيب وصياغة كتاب الهمزة والهاء والعين فقط ، وتوفي قبل انجاز التهذيب والصياغة فأكملها معاوناه ، كما مر سابقا ، وخرج في مائة مجلد . وقد تجاوز القالي - حسب رأي معاصريه - معجم العين للفراهيدي بزيادة في كلمات البار قدرها خمسة الاف وست مائة وثلاث وثمانين كلمة . وقد قدم هذا للريدي مبررا لحكمه القائل « لا اعلم احدا من العلماء

المتقدمين والمتأخرين ألف مثله في الإحاطة والاستيعاب « (٢٠) ». ومن كتب القالي الهامة كتاب « الإمالي » المشهور والمتداول على نطاق واسع حتى أيامنا هذه . وهو من كتب المجموعات الأدبية التي تحوي أخبارا ولفة وأدبا . ويقول عنه ابن حزم انه « مبار لكتاب الكامل الذي جمعه أبو العباس المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا ، فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعرا » (٢١) .

يلي إبا علي القالي في الشهرة بين المؤلفين في ميداني اللغة والنحو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، وكانت صلته بالحكم وثيقة الى حد ان كل ما ألفه كان بامر وتوجيه وتخطيط للموضوع منه ، او بمباركته في حالات أخرى . يأتي في مقدمة هذه المؤلفات اختصاره لكتاب « العين » ، وقد جاء ميسرا للاستفادة من مادة المعجم حتى فضله الناس على الاصل ، اذا صدقنا ما ينقله صاحب الزهر من قول لابي الحسن الشاري بان الناس « قد لهجوا كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف مما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلفة ، وفضلوه على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة » (٢٢) .

وكان للحكم أيضا دور مماثل في مؤلف آخر للزبيدي هو « طبقات النحويين واللغويين » وقد عرض من هذا الكتاب المتداول حتى أيامنا هذه الى ذكر تراجم لكل من الفئتين في مراكز الفكر المشهور بديار الاسلام بدءا من أوائلهم وحتى أيامه على طبقاتهم . تقدمت البصرة هذه المراكز وتلتها الكوفة ثم مصر فالقروان ، وختم كتابه بطبقات النحويين واللغويين بالاندلس .

في الكتاب الثالث للزبيدي وهو « لحن العامة » او « لحن عوام الاندلس » ، يقتصر دور الحكم على المباركة فقط اذ يقول في مقدمته « وكان الذي دعانا لتأليف هذا الكتاب ما أملناه في الثقة التي أسندها الى المؤلف الامام الفاضل والخليفة العادل . . . » . أما مضمون الكتاب فيأخذ بعين الاعتبار طبقة القراء التي يتوجه اليها ، هي بالطبع متعلمة وبالتالي فانه لا يحتوي على كل ما يلحن به العوام اذ يمكن للمتعلم تمييزه بسهولة ولا ضرورة لتبنيه عليه . ويقتصر ما يورده على ذلك اللحن الذي تسرب الى العامة الى ضرورة المثقفين مع الزمن فاستعمله جملة الكتاب وعلية الخدمة وضمنه الشعراء أشعارهم ، فهو والحالة هذه من قبيل الخطأ الشائع الذي تتوهم صحته . وقد سبقه لهذا الموضوع عديد من المشاركة لكن فائدة كتبهم في الاندلس محدودة ، فحسب قوله « سلمت عامة الاندلس من موافقة الكثير من لحن اهل المشرق ونطقت بوجه الصواب فيه » (٢٣) .

عمل في ميدان اللغة والنحو أيضا محمد بن عبد العزيز الشهير بابن القوطية ، وإن كان يدين بشهرته لعمله في مجال التاريخ والأخبار . وقد اشتهر في الميدان الأول عمل له بعنوان « شرح رسالة أدب الكاتب » مع أن مضمونها لا يتعدى شرح مقدمة أدب الكاتب ، للكاتب المشرق المشهور ابن قتيبة .

على شاكلة ما جرى في المشرق رافق جمع كلمات اللغة في المعاجم جمع الشعر العربي ، وقام الحكم بتوجيه عملية جمع الشعر الاندلسي على وجه الخصوص . واتخذ اشكالا عدة منها جمع أشعار شخصية أدبية مشهورة غزيرة الشعر في ديوان ، كما هو حال الكاتب والأديب والشاعر الاندلسي أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، والمتوفى سنة ٣٢٨ هـ عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما . وقد أنتج في هذا العمر الطويل الكثير من الشعر للدرجة أن مدائحه في بني أمية الحاكمين كانت من نصيب أربعة عاصريهم . ورأى ابن حزم ديوان شعره فوصفه قائلا : وشعره كثير مجموع رأيت منه نيفا وعشرين جزءا (٢٤) .

واتخذ جمع الشعر بأمر الحكم شكلا ثانيا هو المختارات الشعرية ، ونرى مثلاً عليها فيما وضعه له أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الحياي ، في كتابه المعروف « الحقائق » الذي عارض فيه كتاب « الزهرة » المشرقى لأبي بكر محمد بن داود . وقد تجاوز كتاب الحقائق كتاب الزهرة من ناحية الحجم على الأقل إذ احتوى على أربعة أمثال ما احتواه الكتاب الثاني . ويقول ابن حزم في هذا الصدد أن « أبا بكر بن داود إنما ذكر مائة باب ، في كل باب مائة بيت ، وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائتي بيت » . ثم يضيف لهذه الميزة ميزة أخرى قائلا « أحسن أبو عمر الاختيار ما شاء وأجاد فبلغ الغاية وأتى الكتاب فردا في معناه » (٢٥) .

يمكننا أيضا اعتبار المؤلفات في أخبار الشعراء شكلا ثالثا من أشكال جمع الشعر وحفظه . وقد صنفت هذه الكتب لتسجيل أخبار شعراء مناطق أو كور الاندلس ، وقد رأى ابن حزم بعضها فقال بصدد « ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت فيها أخبار شعراء البيرة في نحو عشرة أجزاء » . من ناحية أخرى لم يخل بلاط الحكم المستنصر من مؤلفين في الأدب كعمر بن عمير المعروف بابن الجزر والذي ألف رسالة ناقض فيها عبد الله بن المقنع (٢٦) .

العلوم الدينية

ويأتي في مقدمتها علم الحديث . وكانت كتب الصحاح للبخاري ومسلم والنسائي

والترمذي قد نقلت للاندلس، واستمر العمل بهذا العلم في المشرق على اساس دراسة الاسناد ورجالها . واسهم الاندلسيون في بلاط الحكم بشيء من هذا العمل ، فوضع محمد بن احمد بن مفرج تبويبا لكتاب الاسماء والكنى لابي عبد الرحمن النسائي ، وظل هذا الكتاب يدرس حتى بعد قرن ونصف على الاقل في الاندلس . وقام العالم ذاته بجمع احكام رجال الحديث من الاجيال الاولى في المشرق، وجاء جمعه لفقه الحسن البصري في سبعة اسفار ، اما فقه الزهري فجمعه في كتب كثيرة ، واشتهر بين الاندلسيين في علم الحديث محمد بن معاوية من الاسرة الاموية الحاكمة ، الذي تتلمذ على النسائي وادخل سننه للاندلس . وبعد وفاته امر الحكم يعيشا بن سعيد الوراق بتأليف كتاب عما رواه ابن الاحمر من الحديث وسماه « مسند حديث ابن الاحمر » (٢٦) . انصب الاهتمام في مجال علم الفقه على الدراسات ووضع المؤلفات عن الامام مالك ومذهبه ، خاصة وان المذهب اضحى الرسمي للدولة واصبح العمل بموجب احكامه لدى قبائل المغرب وبلدانه تعبيرا عن ولائها لخلفاء الاندلس وخروجها عن سلطان الفاطميين . تزامن ذلك مع افول نجم آل حماد ، القضاة وذوي الثروة والنفوذ في بغداد نهائيا عام ٣٢٩ هـ ، اي عندما كان الحكم وليا للعهد ، وكانوا اصحاب اليد الطولى في بسط مسائل المذهب والمنافعة عنها . فتسلم الحكم راية حماية المذهب والمنافعة عنه ، والسعي لبثه ، وآية ذلك اكماله لمشروع بدأ به اصحابهم في بغداد ، وكان عبارة عن تأليف ديوان جامع لقول مالك بن انس لا يشاركه فيه قول أحد من اصحابه وباختلاف الروايات عنه وذكر من رواها . وتم تأليف خمسة اجزاء حول الموضوع وقعت بيد الحكم ، فكلف بعد التشاور مع قاضيه ابن السليم والفقهاء ابي بكر المعطي وابي عمر بن المكوي باتمام العمل وانجازه . استطاع الفقيهان انجاز العمل بعد ما اباح لهما الحكم البحث في مكتبته عن اقوال مالك حيث كانت في روايات المكيين والمدنيين والعراقيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم ، وخرج المؤلف في مائة جزء ودعي بكتاب « الاستيعاب الكبير » . وقد اعجب به الحكم فوصل كلا منهما بألف دينار ومنديل بكسوة وقدمهما الى الشورى .

عمل الفقيهان المصنفان لكتاب الاستيعاب تجاه اقوال مالك ما فعله كل من مسلم والبخاري تجاه اقوال الرسول (ص) ، وفي الاتجاه ذاته سار البحث حول الامام مالك فبدأت دراسة الرجال الذين رووا عنه ، كما كان يجري في الحديث الشريف حول دراسة سلاسل اسناده ، وقد تصدى لهذا العمل محمد بن أبي دليم القرطبي (ت ٣٥١ هـ) ، وكان قاضيا للحكم على عدة مدن ، وانجز كتاب « الطبقات فيمن روي عن مالك واتباعهم من أهل الامصار » . وظل الكتاب بعده واحدا من اكبر المصادر لمن الف وكتب عن اعلام المالكية .

وفي خضم الجدل المذهبي الذي ملا آنذاك دنيا المغرب والاندلس خدمة لاغراض

سياسية ، دخل الاندلسيون ميدان الحجاج والمجادلة بعد طول احجام ، والف أحد المقربين للحكم الذي قدمه للشورى وهو ولي عهد ، كتب عدة في نصره مذهب مالك منها « كتاب الدلائل والبراهين على مذهب المدنيين » (٢٨).

التاريخ والجغرافية

نشط التأليف في هذين المجالين في بلاط الحكم ، بتوجيه وأمر منه ، وفق أنماط جرى التأليف عليها بالاندلس تقليدا للمشرق . من هذه الأنماط ذلك النمط من التاريخ الوثيق الصلة بمؤلفات الرجال في علم الحديث . وإذا كان الهدف في المؤلفات الأخيرة معرفة الرواة في النواحي التي تساعد على التثبت من صحة الاحاديث التي يروونها ، فان الغاية أصبحت في المؤلفات الاندلسية القريبة معرفة المشاهير والبارزين في الاندلس كلها او في حدود كورة من كورها او مدينة من مدنها . وقد يتسع نطاقها ليشمل البارزين في شتى المجالات ، او يضيق ليقتصر على البارزين في مجال واحد من مجالات النشاطات الفكرية او الادارية (٢٩) . من الامثلة على رجال الاندلس ، ما ألفه خالد بن سعد باسم « رجال الاندلس » للحكم المستنصر الذي اعتبر الكاتب مفخرة من مفاخر الاندلس في مواجهة علماء المشاركة المائلين . أما المؤلفات عن البارزين في ناحية محددة ، فقد نالت فئة الفقهاء والقضاة الحظ الاوفر من اهتمام المؤلفين وتكريس المؤلفات . ومع ذلك فقد ضاع جل هذه المؤلفات على كثرتها ولم يبق منها سوى نثف واقتباسات لدى الكتاب المتأخرين . ولعل أشهر ما تبقى منها كان لابن حارث الخشني ، الذي استقدمه الحكم - كما مر - من سبته ، وألف له على ما يقال مائة ديوان (٣٠) ، يهمنها في هذا الصدد كتاب عن علماء افريقية ، وآخر عن قضاة قرطبة ، الذي حقق في زمنه للحكم رغبته في التعريف بقضاة الجماعة وبحاضرتهم وتخيل ذكركم ، لكنه اعتبر لدى الكتاب المحدثين منبعاً ثرا للمعلومات عن سائر نواحي الحياة بقرطبة ، ويعبر سانشيت البورنوث عن ذلك بقوله « ان القارئ المتمعن للكتاب يشعر وكأن أهل قرطبة الذين عاشوا قبل ألف عام قد بعثوا من القبور لانه يرى أمام ناظريه كل نواحي حياتهم : لهجات كلامهم ونظم ادارتهم وعاداتهم في البيت والسوق ومأكلهم وملابسهم » (٣١) . شكل آخر من اشكال الكتابة التاريخية ازدهر في بلاط الحكم ، تجاوز مشاهير المدن والحواضر لبحث في كل شيء يتعلق بمنطقة من المناطق او كورة من الكور ، كالبحث في ارضها ومنتجاتها وتاريخها ومشاهيرها . وقد يقوم نفس المؤلف بالتأليف في النمطين ، كما هو حال مطرف بن عيسى الفساني (ت ٣٥٦هـ) ، الذي ألف كتابا في فقهاء البيرة وآخر في شعرائها ثم تجاوز هذا الاطار المحدود ليؤلف حسب قول ابن بشكوال للحكم المستنصر كتابا سماه « المعارف في اخبار كورة البيرة واهلها وبواديها واقايلها وغير ذلك من منافعها » . وظل الكتاب مرجعا لكل من حاول

الكتابة عن المنطقة حتى أواخر أيام التاريخ الاندلسي (٢٢) . وفي الكورة المجاورة وهي كورة ريّة وحاضرتها مدينة مالقة قام ابن مسعدة او ابن سلمة بالتأليف في النمط نفسه بكتاب ذي أجزاء كثيرة في « أخبار ريّة من بلاد الاندلس وحصونها وولاتها وحروبها وفقائها وشعرائها » . ثم قام بتجاوز هذا الاطار والى بناء على أمر من الحكم المستنصر كتابا شاملا لأخبار الاندلس . ويبدو مما اقتبس المتأخرون من هذا المؤلف الضائع انه شمل فترات تاريخ الاندلس منذ الفترة التي سبقت فتحها (٢٣) .

وفي فترة ولاية الحكم للعهد وخلال خلافته ، انتج أب وابنه من عائلة الرازي أهم مؤلفات هذه الفترة في التاريخ والجغرافيا . وتنتمي العائلة الى قبيلة كنانة العربية ، وبذلك يكون أصلها عربيا صريحا . لكنها استوطنت الري في بلاد فارس ، ومن هنا جاءت شهرتها ونسبت الى المدينة . واتصل الداخل منها ، وهو والد المؤرخ محمد بن موسى ، بالامير الاموي في الاندلس وعمل لديه جاسوسا ، وينسب اليه تأليف كتاب « الرايات » وهو عمل تاريخي صغير ينصب على موضوع محدد لا يتجاوز القبائل العربية التي دخلت الاندلس تحت راية موسى بن نصير . وعاش أحمد ابنه شبابه وبقيّة حياته في عصر خلافة الناصر والد الحكم (توفي ٣٤٤ هـ) ، ووضع في التاريخ والجغرافية عدة مؤلفات ، ففي الميدان الآخر وضع كتابا في طبوغرافية قرطبة ذكر فيه صفاتها وخطتها ومنازل العظماء بها ، على نحو ما بدا به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكره لمنازل صحابة المنصور فيها ، كذلك ألف في الموضوع ذاته كتابا عن جغرافية الاندلس بكاملها جمع فيه النمطين المعروفين لدى العرب وهما : المسالك والبلداني ، وقد وصفه ابن حزم بأنه « كتاب ضخّم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأمّهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل منها وما فيه مما ليس في غيره » .

أما في التاريخ فقد وضع كتاب الفائق في « أنساب مشاهير الاندلس » ويصفه ابن حزم بأنه في خمس مجلدات ضخمة (٢٤) . ووضع كتابا في التاريخ العام للاندلس بدءا من الفترة الاسطورية ، أي ما قبل الروماني فالقوطي فالاسلامي . وقد اعتمد عليه المؤرخون الاندلسيون في العصور التالية ، وعبرت شهرته الحدود الاسلامية لتصل الى اسبانيا المسيحية فتستوحي منه المروية العامة لاسبانيا التي أمر بكتابتها بعد ثلاثة قرون الفونسو الحكيم - مراحل التاريخ الاسباني اضافة للمعلومات التاريخية ، كما عبرت البحر الى المشرق ، واعتمد عليه ابن الاثير فيما كتبه عن فترته من تاريخ الاندلس . وفي القرن السابع الهجري أيضا أمر ملك البرتغال دون ديونيس بترجمته مع وصف الاندلس الجغرافي ، وضاعت هذه الترجمة ، وما بقي ترجمة عنها للاسبانية باسم « مروية المسلم راسيس » crónica del moro Rasis (٢٥) وأعاد بعده ابنه عيسى للحكم المستنصر صياغة تاريخ الاندلس بشكل أكثر غنى ، وقد ادعى أن أباه

أحمد هو مبتكر علم التاريخ بالاندلس وذلك بقوله « فقلب عليه حب الخبر والتنقيح عنه ، ولم يكن من شأن أهل الاندلس ، فالتقطه عمن لحقه من مشيختهم ورواتهم ودوته ، ووضع قواعد التاريخ بالاندلس مبتدئا ، فازلفه بالسلطان واعتلت به منزلة والده ، من بعده ، واكسبوا أهل الاندلس علما لم يكونوا يحسنونه » .

يتضح من هذا القول ان مفهوم التاريخ هنا قاصر على التاريخ العام ، الذي يرتب الحوادث على السنين خلال فترة طويلة ، ويتناول اضافة لها حديثا عن الشخصيات البارزة كالامراء والوزراء . اما تراجم الرجال والمؤلفات التي تروي حادثة والاراجيز التي تقص تاريخا ، وهي مؤلفات معروفة عند الاندلسيين منذ زمن ، فلا تعتبر تاريخا . ومع ذلك فان في حديث الابن عن أبيه مبالغة واضحة ، اذ وجد لكل من مؤلفات أبيه ما يشابهها في الفترة نفسها التي عاشها وفي البلاط الذي عاش قريبا منه ذاته ، وهو بلاط عبد الرحمن الناصر ، حيث كان ولي العهد المستنصر مهيمنا في هذا المجال . فاذا بدانا بالانساب نرى الحكيم عبد الله بن عبيد الله (المتوفى سنة ٣٤١ هـ) ، يرفع للناصر سنة ٣٣٠ هـ كتابا ألفه في الانساب يحتوي على « ذكر الخلفاء ومن تناسل منهم في الاندلس ومن سائر قریش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف لهم ومشاهير العرب الداخلين الى الاندلس من المشرق من غير قریش ومواليهم ومشاهير قبائل البربر الذين احتلوا الاندلس » (٢٦) .

وعاش في بلاط الناصر ثم في بلاط ابنه ككاتب له عريب بن سعد (أو ابن زيد) ، وكان عالما موسوعيا ، فهو شاعر له مؤلفات في الطب والزراعة ، كما ألف للحكم كتابا في الانواء ، نشره دوزي مع رسالة مشابهة لاسقف قرطبة تحت عنوان « تقويم سنة ٣٦١ هـ » (٢٧) . واشتهر أيضا بكتاب له في التاريخ العام على السنين وصل به تاريخ الطبري باخبار عن المشرق بين سنوات ٢٩٠٠ - ٣٢٠ هـ ، وهو مطبوع متداول في عصرنا . بهذا يبدو غير صحيح القول بأن أحمد الرازي كان المبتكر الوحيد لفن التاريخ . حتى لو أخذنا التاريخ بالمفهوم المشار اليه سابقا . ويبدو أنه ظهر في فترته لدى عديد من لتوافر العوامل الموضوعية الملائمة لظهوره ، وفي مقدمتها تراكم الى الحد الكافي في المعلومات التاريخية ، مثل المعلومات عن الرجال والحوادث بالنسبة للفترة الاسلامية من تاريخ الاندلس ، وكذلك اخبارها قبل الاسلام بنتاج ما ألفه وترجمه بعض المستعربين عن أيام القوط ومن سبقهم .

العلوم القديمة :

وهي بمفهوم العرب المسلمين تلك العلوم الداخلة ضمن اطار الفلسفة او

الحكمة ، والتي تضم ، عدا الفلسفة بمفهومنا ، مجموعة العلوم الرياضية والطبية والكيميائية . وقد سميت كذلك لاخت العرب لها من الحضارات القديمة ، وخاصة اليونانية . كانت هذه العلوم مكروهة في الاندلس لدرجة انهم لم يتجردوا للبحث فيها الا في اواسط القرن الثالث الهجري ، وابقوا عملهم فيها في طي السرية والكتمان ، وحصل الانقلاب الكامل تجاهها في عهد الحكم حسب قول صاعد الطليطلي « ثم لما مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر ، وذلك في ايام ابيه ، الى العناية بالعلوم والى ايثار اهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيون التأليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة ... فكثر تحرك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذهبهم » (٢٨) .

لقي العاملون في هذا المضمار لدى الحكم ما لقيه غيرهم من العلماء في المجالات الاخرى من التقريب والحظوة ، الا انه قريبهم تحت ستار كونهم اطباء ، اما من لم يعرف منهم بالطب فقد ابقى نفسه على مسافة منه ، كما هو حاله مع عبد الله بن محمد المعروف بالسري ، المبرز في علوم العدد والهندسة وينسب اليه العلم بصناعة الكيمياء ، وكان الحكم يعظمه ويؤثره ويروم الاستكثار منه فيقبضه عنه ورعه ويكفه عن مداخلته زهده . وقد انشأ الحكم للباقيين المعروفين بالطب ديوانا يشرف على نفقاتهم كل بحسب مرتبته . ويظهر ان عطاياه لهم كانت كبيرة لدرجة ان العديدم منهم كانوا اصحاب وظائف عالية في مجالهم بالمشرق فقدموا الى موطنهم الاندلس والتحقوا بخدمة الحكم ، ومن مشاهيرهم احمد وعمر ابنا يونس الحرائي ، اللذان اتما تحصيلهما في العراق ثم عملا بخدمة رجال السلطان ببغداد ، ثم قدما على الحكم وبقيا في خدمته حتى الوفاة ، وقد خلف الثاني منهما ما تزيد قيمته على مائة الف دينار . تابع هؤلاء الاطباء المقربون للحكم عملهم في مجالات عملهم ، بعضهم يعمل في الفلسفة والمنطق وبعضهم الاخر في الهندسة والحساب ، كما ان ابني الحرائي اقاما داخل سكنهما بمدينة الحكم الملكية الزهراء معملا صغيرا لتركيب الادوية . ويروي عن ابن جلجل انه رأى لاحد الحرائي فيه « اثني عشر صبيا صقالية ، طباخين للاشربة صناعين للمعجنات بين يديه . وكان قد استاذن امير المؤمنين المستنصر ان يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى ، فاتاح له ذلك » (٢٩) .

يلاحظ من تتبع اسماء المقربين للحكم في مضمار العلوم القديمة ان اغلبهم قد اكملوا علمهم في المشرق ، حيث تطورت هذه العلوم اثر ترجمة اصولها الى العربية ، ويبدو ان الحكم اراد للاندلسيين الاطلاع على الاصول القديمة من يونانية ولاينية مباشرة وتبلور الشكل الذي اخذه هذا السعى ، بالطريقة التي اتبعها في ترجمة كتابين ، احدهما يوناني والاخر لاتيني ، يقال انهما وردا ضمن هدية من امبراطور بيزنطة لبلاط

الخلافة في قرطبة . الكتاب اللاتيني هو « كتب التاريخ السبعة في الرد على الوثنيين » الفه باولوس اوروزيوس ، المحرف في الرواية العربية الى هيروشيئس ، ويعرف « بانه تاريخ للروم عجيب فيه اخبار الدهور وقصص الملوك الاول وفوائد عظيمة » .
يورد ابن خلدون ان الكتاب قد ترجم للحكم المستنصر من قبل كل من قاضي نصارى قرطبة وترجمانهم فيها ، وقاسم بن اصبع شيخ العصر . ويبدو ان الاول كان ينقل الفكرة من اللاتينية الى العربية او العامية الاندلسية ويقوم الثاني بصياغتها صياغة عربية سليمة .

وقد شك الباحث الايطالي ج . ليفي دي لا فيدا بأن تكون القسطنطينية مصدر المؤلف التاريخي اللاتيني ، لكن احدا لم يشك باصل الكتاب الثاني وهو لديسقوريدس اليوناني ، ويحتوي على الحشائش الطبية ، يضاف اليها حسب قول ابن جلجل « صور للحشائش بالتصوير الرومي العجيب » . ولم يكن هذا الكتاب مجهولا بالاندلس ، اذ حوت مكتبة القصر ترجمة مشرقية له انجزت زمن المتوكل العباسي . لكن فائدتها بقيت محددة لان اسماء اعيان الحشائش في المشرق لا تطابق دائما اسماءها الاندلسية ، اصف الى ذلك ان المترجم المشرقي لم يعرف اعيان بعض النباتات فتركها على شكلها اليوناني ، عسى ان يتعرف عليها غيره (٤٠) . شجع الحكم عملية ترجمته من جديد ، وطلب من امبراطور بيزنطة ان ينفذ اقتراحه بايفاد عارف باليونانية من بلاطه ، فوافد الراهب نقولا الذي انضم اليه فريق اندلسي بينهم عارفون باللاتينية واطباء وعلماء نبات ولفويون . واستمر العمل به امدا توفي خلاله نقولا الراهب ، الا انه تيسر للاندلسيين عارف باليونانية من مسلمي صقلية . وانجز العمل بدرجة من الاتقان كافية ، اذ استطاع العاملون التعرف على « اشخاص » الحشائش العقاقير في كتاب ديسقوريدس بمدينة قرطبة ونواحي الاندلس ، ولم يبق دون معرفة الا حوالي عشرة ادوية .

اسهام الحكم في الحياة العامة والرؤية الموجهة لسياسته فيها

لعل اول اسهام له كان التمويل وتقديم عطايا للعاملين بلغت ضخامتها حدا جعل بعض اعلام المشاركة يشدون الرحال اليه متحملين مشاق الرحلة الطويلة والبعد عن الاوطان . وتبع التمويل تيسير سبل العمل بتهيئة المكان المريح للملائم وبأمين المكتبة والسماح بالرجوع لوثائق دواوين ادارته . وقد لا يبدو الحكم ضمن هذه الحدود متميزا عن غيره من الخلفاء والسلطين المسلمين ، اذ انهم اولو امر في دول اسلامية والاسلام يحض على طلب العلم ، اصف الى ذلك ان تجمع العلماء في بلاط ما يخلق حول الحاكم هالة من العظمة ، اذ لا يخلو ان يكون بينهم شاعر او شعراء يتفننون بامجاده ومؤرخ او مؤرخون يسجلون ما هو مشرق من احداث حكمه .

لكن الحكم تجاوز غيره بكثير من نواح عدة ، منها انفتاحه وتسامحه ، كما تجلّى لنا ذلك من تقديمه للعلماء من مذاهب اخرى غير المالكية ، وكذلك في انفتاحه على العلوم القديمة ، لكن هذا التسامح لم يكن مطلقا ولا يصل لحد السكوت عن يثهم في دينه من العلماء . لذلك نراه يبعد فقيها شافعيًا قد آواه في بلاطه ، عندما نمي اليه انه على مذهب الاعتزال .

مما تميز به الحكم عن غيره ايضا انه شارك في التاليف كتابة وتخطيطا ومراجعة . كتب في الانساب والرجال ، اذ ينسب اليه ملحق لكتاب « قضاة قرطبة » للخشني ، وكذلك تعليقات كثيرة على بعض كتب مكتبته تناولت حديثا عن اطباء ايضا ، وتبدو انه كان متقنا لما يكتب كثير التحري عن صحته ، اذ تتردد كثيرا لدى مؤلفين عاشوا بعد عصره وزوال حكم أسرته جملة « قرأت ذلك بخط الحكم المستنصر وقوله حجة عندنا بالاندلس » . وفي حالة وضعه مخطوطا للؤلفات اتخذ تخطيطه اكثر من شكل ، فاحيانا يكون تحديدا دقيقا ، كما هو الحال في طبقات النحويين للزبيدي الذي يقول في مقدمته « الفت هذا الكتاب على الوجه الذي امرني به امير المؤمنين اعزه الله واقمته على الشكل الذي حده ، وامدني ابقاه الله في ذلك بعنايته وعلمه ووسعني من روايته وحفظه » . واحيانا يكون التخطيط عبارة عن تحديد الهدف والغاية فقط من الكتاب والاكتفاء بوضع الاطار العام ، كما يظهر ذلك في كتاب « قضاة قرطبة » للخشني ، الذي يقول في هذا الصدد « ان الحكم منطلقا من الرغبة في حفظ العلوم ومطالعة الاخبار وفي معرفة النسب وتقييد الآثار ، وفي الإشارة لفضائل السلف والتقليد لمناقب الخلف وفي التذكير بالمنسي من الانباء والاشارة للسالف من القصص وبخاصة ما كان في مصره قديما وفي عصره حديثا وقد امر بتأليف كتاب القضاة مقصورا على من قضى للخلفاء بارض المغرب في الحاضرة العظمى قرطبة ولعمالهم بها من قبل » .

قام الحكم ايضا بمراجعة بعض المؤلفات على الاقل ، ومن الامثلة على ذلك انه لما اكتمل معجم البارع لابي علي القالي « ورفع اليه اراد ان يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين فبلغ ذلك الى خمسة الاف وست مائة وثلاث وثمانين كلمة » . وشبهه بهذا ما حدث لمختصر العين الذي قام به الزبيدي « على التصنيف والترتيب اللذين حدهما له .. ارتضى عمله فيه عند تصفحه .. واوصله الى نفسه يومه هذا ففاوضه في عمله الذي برع فيه واستثار له من غوامض فنونه .. » صفوة القول اذن ان النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر كان موجها من قبله . ويبقى المهم بالتالي تبين رؤيته الموجهة وهل كانت تقليدية ، بمعنى اعطاء قوة دافعة فقط لمسيرة الحياة الفكرية وفق الخطوط التي كانت تسير عليها ضمن اطار تقليد المشرق ..؟، يبدو لاول وهلة ان النشاط الفكري ظل على انتاج الانماط نفسها ، كما

يتجلى ذلك في المؤلفات اللغوية والادبية التي تختصر أو تعارض تلك المؤلفات التي ظهرت في المشرق . الا ان نظرة اكثر شمولا في الاستقصاء وأعمق في التأمل تدل على ان ظروف الواقع الاندلسي والحاجات المنبثقة عنه كان لها تأثير كبير بحيث كونت تلبيتها الرؤية الموجهة للحكم في توجيه النشاط الفكري ببلاطه .

يمكن اجمال ظروف الواقع الاندلسي بكون الاندلس الموحدة القوية التي تبسط نفوذها على شمال اسبانيا من جهة ، كانت تواجه تحديا خطيرا من الجنوب متمثلا بالفاطميين الذين يسيطرون على جزء كبير من المغرب العربي الاسلامي ويطمحون لاختضاع ديار الاسلام كلها ، بما فيها الاندلس ، لسلطان امامهم الذي اعتبروه الامام الوحيد لها . وقد رد الاندلسيون سياسيا على هذا التحدي باعلان اميرهم خليفة اواحد لديار الاسلام ، من دون الامام الفاطمي في المغرب والخليفة العباسي في المشرق . وفي مواجهة المذهب الفاطمي دعم الخلفاء الاندلسيون المذهب المالكي وفقهائه ، كما حاولوا ابراز مكانة قاعدتهم وهي الاندلس وجلاء تفوقها لا على المغرب فحسب بل وعلى العراق ايضا .

انبثقت الرؤية الموجهة للنشاط الفكري لدى الحكم من ضرورات تلبية حاجات الاندلس ودولة الامويين فيها . وهكذا نرى اهتماما موجهها نحو تمجيد وتعظيم الامويين ، اذ يؤلف شيخه وشيخ ابيه قاسم بن اصبح كتابا في فضائل قریش . علما ان امويي الاندلس ينعتون انفسهم بالقرشيين . كما ان الحكم يجمع اشعار الخلفاء من بني امية في كتاب ، كما يحاول ان يعلي من ذكر اسرته في الاقطار الاخرى فيكافيء من يؤلف عنهم كما هو حاله مع ابي الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى ، الذي الف في انساب قومه ومدحهم معه بقصيدة ، وكذلك هديته المالية الى ابي عمر محمد بن يوسف الكندي صاحب كتاب الولاة والقضاة ، الذي الف عن اخر المروانيين مروان الجعدي . وفي الوقت نفسه سدت الحاجة لتمجيد قاعدتهم الاندلس بتلك المؤلفات الكثيرة في الجغرافيا والتاريخ ، التي اعطت صورة عن غناها بالموارد المادية والطاقات البشرية التي عكستها كتب تراجم الشعراء والاطباء والفقهاء والمحدثين . ونظرا لمكانة الاخيرين الدينية بذل الحكم جهدا شخصيا لابرازهم عند المؤلفين المشاركة . فقد الف ابوسعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس المصري تاريخا لاهل الاندلس والمغرب اخذه من كتاب انفذه اليه الحكم المستنصر (٤٢) . اما التاريخ العام فيبدو في الظاهر وكأنه تقليد للنمط المشرقي ولا علاقة له بتمجيد الاندلس ، لكن الاطلاع على مضمون المؤلف منه في الاندلس يبين انه يخدم الغرض خدمة وافية ، اذ يتحول هنا لتاريخ للاندلس فقط منذ العصور القديمة ، وبالتالي يعكس استمرارية حكم الامويين من جهة ويجلي عراقتها كقاعدة للملك منذ اقدم العصور . لكن الشعوبيين الاندلسيين استغلوا هذا الغرض ليدسوا في

ثنايا المكتوب ما يبين فضل اهل الاندلس القدماء على العرب المسلمين ، كما يظهر ذلك واضحا من كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس » لابن القوطية (٤٢) .

من ناحية اخرى اقتضت ضرورات الصراع مع الفاطميين الى اعتماد الاندلسيين على جملة وسائل ، منها دعم الفقهاء المالكيين والمذهب المالكي واعتبار سير القبائل المغربية بموجب احكامه علامة طاعة لهم . ولم يقتصر دعم الفقهاء على من وجد منهم في الاندلس والمغرب بل تعدى الامر ذلك الى مصر ، حيث كانت الهبات توزع عليهم بمعدل مائة دينار للواحد ، مع مضاعفتها لكبيرهم . ويصب في المجرى نفسه التشجيع الذي رايناه من الحكم للتأليف حول اقوال مالك ورجاله . وتتضح الغاية الدعائية في الحديث عن رجال المالكية واضحة بجلاء في كتاب الخشني « علماء افريقية » الذي يبدو كتابا ذا طابع موضوعي يعرض لعلماء افريقية كلهم وعلى اختلاف مذاهبهم . لكن تفحصه بشيء من الدقة يوصل الى مكنم الدعاية فيه ، فبينما تقتصر تراجم الغالبية فيه على سطور قليلة من المطبوع نراه يخص سعيدا بن الحداد ، الفقيه المالكي الذي تحلى بالقدرة على الجدل والدفاع عن المالكية ضد الدعوة الفاطمية المعادية بعشرين صفحة ٢٥٧ - ٢٧٨ من هذا المطبوع . والا هم من طول الترجمة في تعيين الغاية هو مضمونها ، اذ حوت على وقائع مجادلاته مع احد كبار الدعاة الفاطميين وافحامه له ونقضه للاسس الفكرية التي يقوم عليها مذهبه ، كقضايا ترتيب كبار الصحابة في الفضل ، والامامة بالنص والامر الالهي لا باختيار الناس ، وامامة الفضول مع وجود الافضل . وبذلك يكون الخشني قد بث بين مطالعي الكتاب تسفيها للفكر الفاطميين . من الجوانب الفكرية التي شجعها الحكم تلك التي تخدم ضرورات سياسته الخارجية القائمة على فرض الهيمنة وبسط النفوذ في المغرب وشمال اسبانية . ففي المنطقة الاولى كان يحارب الفاطميين باثارة القبائل والقوى الاجتماعية في المدن ضدهم ، وتحرك رسله عبر المغرب في كل الاتجاهات لتحقيق الغرض ، وبالتالي كان لابد له من معرفته ارضا وسكانا ، وتيسر له ذلك بمؤلفات محمد بن يوسف الوراق القيرواني الموطن ، الذي الف له « في مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفي اخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتباً جمّة وكذلك الف في اخبار تاهرت ووهران وسجلماسة ونكور والبصرة تواليفا حسنا » (٤٤) . اما الشمال الاسباني فكان يعرفه عن طريق مبعوثيه المقيمين ، نظرا لصلات المنطقة مع امراء الفرنجة في غالبا ، فقد تعرف على اخبارهم وملوكهم بواسطة اسقف مدينة جرندة الحدودية بين اسبانيا وغاليا ، الذي ارسل له كتابا بهذا الصدد رأى المؤرخ المشرقى المسعودي نسخة منه بمصر (٤٥) .

ولبى حاجات التنافس مع المشرق ايضا ذلك الجانب من النشاط الفكري في بلاط الاندلس ، المتمثل اولا بانهاء التبعية الثقافية للمشرق ، ويظهر ذلك بنقل الاصول

الفقهية للفقهاء القدماء كالزهري والحسن البصري ، وفي العلوم القديمة بالاطلاع على اصولها القديمة ، لاعبر الترجمات المشرقية بها ، كما رأينا في كتاب ديسقوريدس . ولدينا العديد من المؤشرات الاخرى على رغبة الحكم لا بانهاء التبعية للمشرق فحسب بل التفوق عليه ، فعندما بلغه نبأ انسحاب احد اعضاء الوفد الذي ارسله لاستقبال ابي على القالي وامتناعه عن مرافقته لانه اكتشف له اخطاء في رواية شعر ، لم يحاسبه الحكم على ذلك بل بارك عمله بقوله « الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطيء وافد اهل العراق الينا وابن رفاعة اولى بالرضا عنه من السخط » .

اصابت عدوى منافسة الاندلس للعراق في تبوؤ مركز الصدارة في ديار الاسلام للجماعات الخاضعة من اهل الذمة ، فقد كانت الجماعة اليهودية في الاندلس على سبيل المثال تتبع السلطة اليهودية المشرعة والمدارة لشؤون اليهود في بغداد ، والتي كانت منذ ايام الساسانيين تضع القواعد والتشريعات الهادفة الى تسيير حياة جماعتها وفق احكام التلمود (٤١) . وهكذا كان يهود الاندلس « يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت اعيادهم ليهود بغداد . وفي زمن الحكم قام احد خدمته في الطب وهو حسداي بن اسحق اليهودي باستجلاب تاليف من المشرق وعلم حينئذ يهود الاندلس ما كانوا يجهلونه واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه » (٤٧) .

من هذا كله يمكننا القول ، انه كان لدى الحكم المستنصر رؤية واضحة في توجيهه للنشاط الفكري في بلاطه ، قائمة على جعل هذا النشاط يخدم ويلبي الحاجات المنبثقة من واقع سلطانه وسياسته الداخلية والخارجية .

الحواشي :

- (١) Melchor M. Antuna, La Corte Literaria de al-Hakam II, el - Escorial, 1929 .
- (٢) ابن حيان القرطبي ، المقتبس ، ج ٥ ، تحقيق شالميتا وآخرين (مدريد ١٩٧٩) ، ص ٣٢٢ .
- (٣) الزبيدي ، طبقات النحويين ، (القاهرة ، ١٩٧٣) ص ٢٨٢ - ٢٨٣ . ابن الأبار ، التكملة (ط القاهرة ١٩٦٥) ج ١ ، ت ٥٤٨ .
- (٤) المقتبس ، تح شالميتا ، ص ١٤-١٥ .
- (٥) ابن الأبار ، الحلة السراء ، تح حسين مؤنس (القاهرة ١٩٦٣) ص ٢٠٦-٢٠٨ .
- (٦) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، تح احمد بكير محمود (بيروت) ج-٤٣ ، ص ٤٢٠-٤٢١ .
- (٧) طبقات النحويين ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ و ٢٨٤ و ٣٠٣ . ابن القرصي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، (ط القاهرة ١٩٥٤) ، ت ١٥٤٥ و ١٠٧٠ .
- (٨) ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تح بروفنسال ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
- (٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تح بروفنسال ، ص ١٠٠ التكملة ، ت ٦٢١ .
- (١٠) المقتبس ، تح عبد الرحمن الحجى ، ص ٢١٧ .
- (١١) ترتيب المدارك ، ج ٣-٤ ، ص ٥٧ - ٥٧٣ .
- (١٢) الحلة السراء ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .
- (١٣) ابن النديم ، الفهرست ، (ط خياط) ، ص ٥٩ .
- (١٤) التكملة ، ج ١ ، ت ٩٨٠ . ابن القرصي ، ت ١٦٣٦ .
- (١٥) المقرئ ، نفح الطيب ، ع محمد الدين عبد الحميد ، (القاهرة ١٩٤٩) ج ٤ ، ص ١٠٨ ، تكملة ج ١ ، ت ٩٣٦ و ٨٠٨ . ابن القرصي ، ت ٨٨٦ .
- (١٦) الفهرست ، ص ٤٢ - ٤٣ . الحميدي ، جذوة المقتبس ، تح محمد بن تاووت الطنجي ، ت ١٧٢ . ابن القرصي ، ت ١٠٦٢ .
- (١٧) المصدر السابق ، ت ١٥٩ ، طبقات النحويين ، ص ٣١٠ - ٣١٤ .
- (١٨) نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١١٧ . ابن القرصي ، ت ١٤٠٢ و ١٤٠٤ .
- (١٩) التكملة ، ج ١ ، ت ٦٩٩ .
- (٢٠) من مؤلفاته التي لم نورد لها ذكرا في المتن « الممدود والمقصود » و « فعلت وافعلت » و « حلى الانسان والخيول وشيائها » و « مقاتل الفرنسان » و « تفسير القصائد المطلقات » و « الامثال » . انظر ، طبقات النحويين ، ص ١٨٦ .
- (٢١) جذوة المقتبس ، ت ٣٠٣ ، انباء الرواة ، ج ١ ، ت ١٠٩٠ ، التكملة ، ت ١١٠٤ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٧٤ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ٧ ، ص ٢٥-٣٣ .
- (٢٢) الزهر ، ص ٤٤ . البير حبيب مطلق ، الحركة اللغوية في الاندلس ، ص ١٣٠ .
- (٢٣) المصدر السابق ، ص ١٤٦-١٦٥ .
- (٢٤) جذوة الاقتباس ، ت ١٧٢ .
- (٢٥) رواية ابن حزم في « جذوة الاقتباس » ، ت ١٧٦ وفي نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٦٦ .
- (٢٦) طبقات النحويين ، ص ٣٠١-٣٠٢ .

- (٢٧) ابن خير ، فهرسة ما رواه عن شيوخه (سرقسطة ١٨٩٢) ، ص ٢١٤ ، نفع الطيب ، ج٤ ، ص ١٦٤ جذوة الاقتباس ، ت ٩١٥ .
- (٢٨) ترتيب المدارك ، ج ٢-٤ ، ص ٦٢٤ - ٦٣٥ و ٤٤٠ - ٤٤١ . ٤٣٦-٤٣٧ .
- (٢٩) الف محمد بن هشام المرواني كتاب « اخبار الشعراء » وقاسم بن سعدان كتاب « فقهاء ربه » وابو اسحاق الباجي « رجل باجه » و « فقهاء باجه » واحمد بن عبد البر « فقهاء قرطبة » والف ابن عبد البر « فقهاء قرطبة » والف ابن عبد البر الكشكيني « فقهاء وقضاة قرطبة » .
- (٣٠) من كتبه الاخرى التي ألفها للحكم « فقهاء المالكية » و « التعريف » و « المولد والوفاة » و « النسب » و « الاقتباس » .
- (٣١) J.Ribera, al-Jusani, Historia de los Jueces de Cordoba, PPXXII - XLIII .
- C. Sanchez. Albornoz, En Torno a los Origenes del Feudalismo (Buenos-Aires 1977) T.II, PP 162-166.
- (٣٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ت ١٣٦٧ . ابن القرضي ، ت ١٤٤٢ . ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار قرطبة ، تاج عبد اللطيف ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
- (٣٣) ابن القرضي ، ت ٢٢٨ . جذوة الاقتباس ت ٣٠٥ . نفع الطيب ، ج ٢٤ ، ص ١٦٦ . المقتبس ، تاج شاليتا ، ص ٢٧٤-٢٧٨ .
- (٣٤) المقتبس ، تاج محمود مكي ، ص ١٦٥ - ٢٦٩ . النكمة . ت ١٨٥ ، جذوة الاقتباس ، ت ١٧٤ .
- (٣٥) Pons Poigues , Historiadores Y Geografos Arabigo - Espanoles , Madrid 1898 PP. 62- 66.
- C.Sanchez Albornoz , En torno .. PP. 115-158.
- (٣٦) محمد بن عبد الملك المراكشي ، الذيل والنكمة ، تاج محمد بن شريفة ، ق ١ ، ص ٢١٢-٢١٣ .
- (٣٧) Levi Provençal , Historia de Espana, Mosulmana, (Madrid 1957) , P,137-135.
- (٣٨) صاعد الطليطي ، طبقات الامم ، ص ٨٤ و ٨٦ .
- (٣٩) ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ و ٤٨٧ .
- (٤٠) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، ص ٣٠-٣٩ .
- (٤١) محمد بن حارث الخشني ، قصاة قرطبة ، نشر الحسيني ، ص ١٠ .
- (٤٢) ابن القرضي ، ص ٩-١٠ .
- (٤٣) J,Ribera, Disertaciones Y Opusculos (Madrid 1956) , T.I,PP 119-129.
- (٤٤) النكمة ، ت ٩٩٦ و ١٧٧ .
- (٤٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٨-٢ .
- (٤٦) Michael Morony, Iraq After the Muslim Conquest , Oxford 1983, PP . 306-314 .
- (٤٧) ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص ٤٦٨ .